ويشدد الكاتب على أنّ «مبادرة» السادات، جاءت لصالح القاهرة، معيداً ذلك إلى الأسباب التالية:

١ ــ إن السادات أخذ زمام المبادرة، فعزز من «استقلال» مصر، وقوى من قدرات نظامه عن طريق نصر شعبي حققه، كما غذى الامل القائل بأن تحقيق السلام، يحمل معه إمكانات تحسن الأوضاع الاقتصادية.

٢ ــ أعطى اسرائيل إمكانية أن ترى مصلحة لها في استمرار نظام السادات. وفي الوقت نفسه، ضاعف من الضغط العام على الحكومة الاسرائيلية، كي تعيد النظر في مواقفها من مبادرات السلام.

٣ ــ حل مشكلة اللاحرب واللاسلم، ونحّى جانباً مقولة أن الحل السياسي أو العسكري يتطلب الالتفاف نحو موسكو. وفي هذا الفصل، يشير الكاتب إلى التحول الذي طرأ على سياسة الولايات المتحدة، التي لم تعد «السمسار» ولا «المؤيد» فقط، بل تحولت إلى شريك. وهو الدور الذي لم يعد في وسع الولايات المتحدة التراجع عنه، فضلاً عن أنه لا يواجه أي رفض لا من قبل مصر ولا اسرائيل.

ولم تكن قمة كامب ديفيد سوى التعبير الرسمي عن قبول واشنطن لهذا الدور.

لكن لهذا الدور تبعاته، التي يكشفها المؤلف في الفصل الخامس؛ حيث بات لسياسة الولايات المتحدة تجاه النزاع التأثيرات التالية:

١ ــ إن السادات راح يعتبر «الحل الشامل» الذي تدعو إليه واشنطن بمثابة إيصال المحادثات إلى طريق مسدود، لا إلى الحل المطلوب. ذلك أنه لو نجحت مصر واسرائيل في تحقيق تسوية خاصة بهما، فإن ذلك سيخلق شرخاً في الصف العربي، وهو أحد موروثات النجاح.

٢ ــ ظل السعوديون متمسكون بالحل الشامل، لأنه يسهل دورهم في قيادة وحدة الصف العربي، مما يجعل القاهرة في وضع صعب يحول دون وصولها إلى حل توفيقي حول المشكلة الفلسطينية. ويمكن للسعودية أن تتحول إلى معارض لتسوية اسرائيلية ــ مصرية.

٣ ــ فقدت اسرائيل ثقتها بالدور الأميركي، لأن واشنطن باتت تطرح مشروعات لا تتفق والموقف الاسرائيلي تماماً.

٤ ــ ضعف موقف كارتر داخل الكونغرس، بسبب خلافه مع اسرائيل من جهة، وبسبب تقربه من الحكومات العربية «المعتدلة» من جهة أخرى.

وينهي الكاتب الدراسة بتحديد رأيه في السياسة الأفضل التي يجب على واشنطن الأخذ بها. فهو يرى أنه طالما استمرت سياسة دعم اسرائيل كي تحتفظ بتفوقها العسكري، وفي الوقت نفسه استمرت سياسة البحث عن تسوية للنزاع العربي ــ الاسرائيلي، فمن الأفضل أن تكون الولايات المتحدة «سمساراً» وليس «مؤيداً».

لكن نجاح هذا الدور، مرتبط إلى حد كبير، بقدرة واشنطن على الخروج من الضعف الذي أحدثته حرب أكتوبر. إلاّ أن حلاً أميركياً لا يمكن أن يحل، وبشكل كامل، مكان سياسة للطاقة ذات جدوى، ودون وجود الرغبة للتنافس مع الاتحاد السوفياتي للتأثير على النزاعات المحلية.

يبقى أن نسجل، ولو عرضاً، بعض الملاحظات العاجلة:

يملك المؤلف اطلاعاً جيداً على الأوضاع في المنطقة، وخصوصاً فيما يتعلق بحيثيات الصراع العربي ــ الاسرائيلي، كما يملك أيضاً متابعة دقيقة لتطور الصراع. لكنه يوظّف هذه الثروة العلمية بشكل سيىء، وانحياز سافر إلى جانب اسرائيل. ويتجلى هذا الانحياز، على وجه فاضح، لدى الحديث عن القضية الفلسطينية.